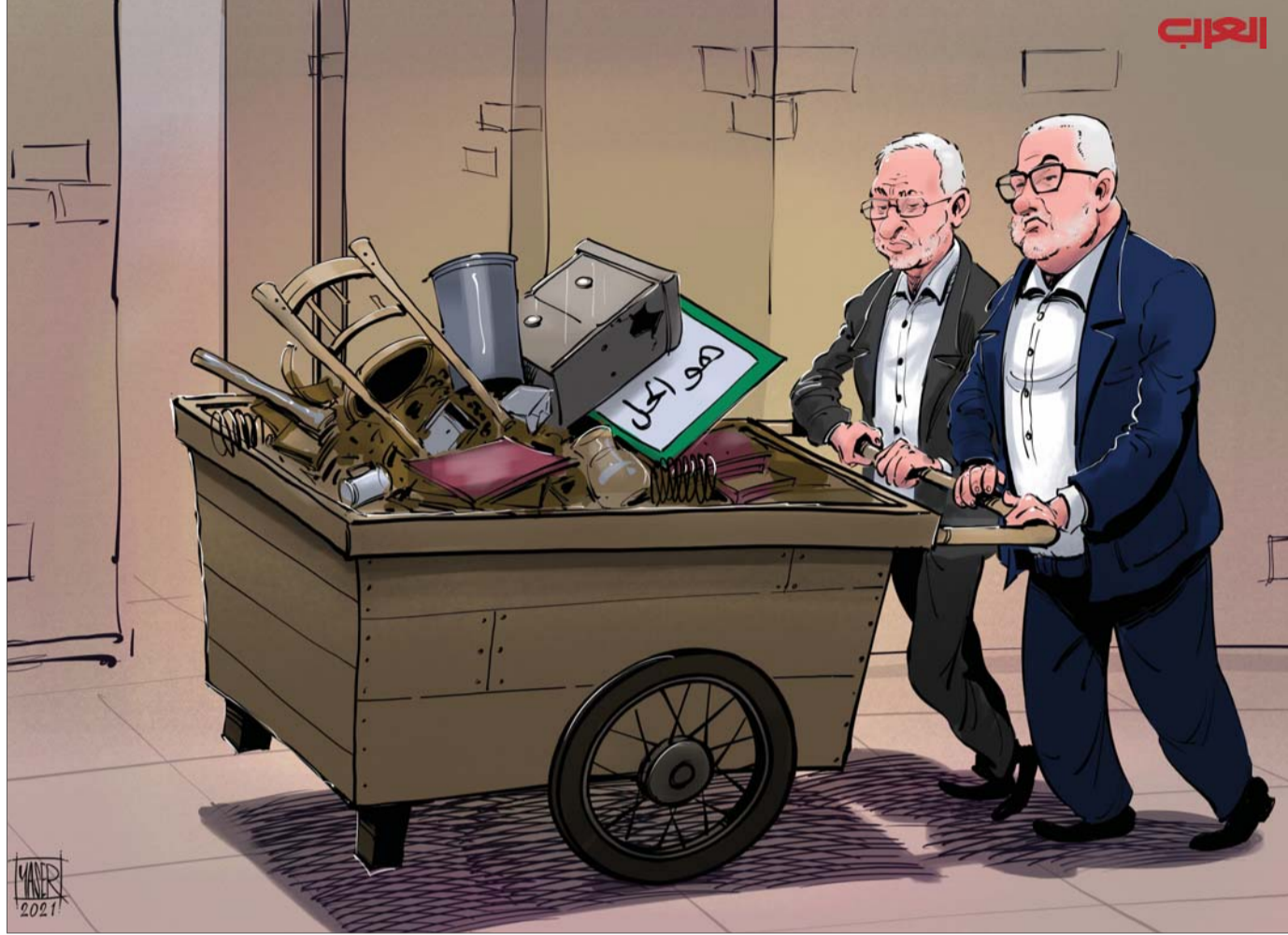


حين أغلق المغاربة القوس على الربيع الإخواني



لو أن الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون يملك حرية القول لاعتترف أن الولايات المتحدة تقف مع هيمنة حزب الله على لبنان. وفي اليمن كان مبعوثو الأمين العام للأمم المتحدة يصطدمون بالجدار الأميركي الذي يحتمي به الحوثيون، أما في العراق فإن المعادلة هي الأكثر مأساوية. لقد وهبت الولايات المتحدة البلد بكل ما فيه إلى إيران من غير شرط. ألا يعني ما جرى أن هزيمة الإخوان هي هزيمة مشروع عربي قديم؟

الأخبار السعيدة أتت من المغرب. لقد أغلق المغاربة القوس على الربيع الإخواني. يقول إعلام الإخوان وهو إعلام عالمي متمكن ومهيمن إن الثورة المضادة للربيع العربي قد انتصرت في محاولة للإيحاء بأن نضالات الشعوب قد تم القضاء عليها. ف"شعوب هذه المنطقة لا يمكن أن تحكم إلا من خلال العقائد الدينية" ذلك ما تقوم عليه فكرة المستعمر البريطاني التي أورثها للولايات المتحدة باعتبارها رأس حربة الغرب.

وزنها في العلاقات الدولية. غير أن نزعهم الإخوانية ظلت تعتمل في أعماقهم وهو ما عبروا عنه من خلال استقبال إسماعيل هنية زعيم حماس السياسي كما لو أنه زعيم دولة. كانت تجربة الإخوان في حكم المغرب فاشلة على جميع الأصعدة ولولا أن الدستور كان صارما في مراقبة الصلاحيات ولولا أن الدولة المغربية كانت أكثر صلابه من أن تُخترق لكانت نتائج حكم الإخوان كارثية. فهي المرحلة التي هي أكثر فسادا في تاريخ المغرب السياسي.

من الخارطة السياسية قرار واحد من الرئيس قيس سعيد. كذلك فإن السودان اهتدى إلى الطريق التي لا يُسمح لإخواني واحد في ارتيادها. كان هناك من يحلم في أن يكون وارثا للربيع العربي في المغرب. ولم يكن ذلك الحلم ليشكل خطرا على الحياة الديمقراطية هناك مادام الحالمون ملتزمين بالقانون وبإطار الحريات السياسية المتاحة. من هذا المنطلق وجد الإخوان في المغرب فرصة نادرة في تصريف شؤون دولة يحكمها القانون ولها

خلاياهم أنها مسألة وقت. وهو ما جعل الإخوان يفقدون حذرهم التقليدي وينزعون الأقنعة ليعلنوا عن برامجهم الحقيقية في إخضاع المجتمع وإعادة تهذيبه والحد من الحريات الشخصية التي هي من وجهة نظرهم مصدر الفساد الأخلاقي وإعادة النظر في المفاهيم الوطنية.

يومها قطع الإخوان شعرة الخديجة التي كانت تصل بينهم وبين المجتمع وظهروا على حقيقتهم، دعاء تجهيل وإفقار مادي وروحي وعقلي وجمالي ومعادين لإبسط حقوق الإنسان ومناهضين للدولة الوطنية.

يوم تحرر المصريون منهم كان واضحا أن الزلزال الذي ضربهم سيستع تأثيره المدمر وهو ما دفع دولا في الشرق وفي الغرب إلى تعبئة وتجنيد وسائل إعلامها للدفاع عما سمي بشرعية محمد مرسى والتتديد بما سمي بانقلاب عبدالفتاح السيسي. لقد جندت في سبيل ذلك الهدف قنوات فضائية وصحف عالمية لم يخفت ضجيجها حتى اللحظة، بالرغم من أن الواقع فرض حقائقه الراسخة التي تؤكد أن مرسى لم يكن رئيسا بل هو يد إخوانية تحكم مصر بقوة إرادات أجنبية تعود إلى الدول التي ينعم الإخوان بأموالها.

نجت مصر فصار الربيع العربي عاريا. اليوم حين هُزم حزب العدالة والتنمية المغربي في الانتخابات التشريعية بطريقة تنطوي على قدر من الإللال الذي مارسه الشعب في حق الحزب الحاكم فإن القوس الذي فتحته مصر أغلقة المغرب. لقد انتهى ربيع الإسلاميين أو ما سمي بالربيع العربي. هُزمت التنظيمات الإرهابية في سوريا وانتهى الليبيون إلى أن يتوافقوا مضطرين بعد أن اكتشفوا أن الاتكاء على الجماعات الإسلامية معناه الاستمرار في الحرب إلى ما لا نهاية. أما راشد الغنوشي وجماعته في حركة النهضة بتونس فقد أزالهم

فاروق يوسف
كاتب عراقي

وجدت تنظيمات الإخوان المسلمين بمسمايتها المختلفة في الانتصار المريب والملتبس الذي حققته حركة طالبان مناسبة للام. ومهما بلغ حجم ذلك الأمل الذي تقف وراءه خزائن مالية ضخمة هي منجم كل هذا الضجيج الإخواني فإنه لا يعوض الخسارة العظمى التي تمثلها نجاة مصر وخروجها من القفص الإخواني. بفقدان مصر خسر الإخوان التاريخ والجغرافيا معا.

اليوم حين هُزم حزب العدالة والتنمية المغربي في الانتخابات التشريعية بطريقة تنطوي على قدر من الإللال الذي مارسه الشعب في حق الحزب الحاكم فإن القوس الذي فتحته مصر أغلقة المغرب.

مصر بالنسبة إليهم هي القاعدة التي من دونها يظل كل إنجاز ناقصا بل ومعرضا للانهدام. بدا تاريخهم هناك واعتقدوا يوم قطفوا ثمار الحراك الشعبي الذي أطاح بنظام حسني مبارك أن مسيرة اجتمعا العالم العربي قد بدأت من المكان المناسب. وكانوا محقين في ذلك. فمصر هي قلب العالم العربي. من يسيطر على ذلك القلب يتمكن من التوسع بيسر إذا كان لديه في الخارج من هو على استعداد لتلبية نداءه. كان الربيع العربي في أوج ازدهاره يوم حكم الإخوان مصر. لذلك ظنت القوى التي ساندت الإخوان ومولتهم ورعت

العالم المحاصر بين براغماتياته واعتدال طالبان

الأقل أن تقدم الدليل الفقهي الذي يسند الزعم بأنها "تغيرت". لقد شكلت طالبان حكومة ليس فيها امرأة واحدة.

كان ذلك نوعا من الجواب! وخرج المئات من النساء يتظاهرن في كابول لا يرتدين "التشادور" للاحتجاج. كان ذلك نوعا من جواب مضاد.

كل طالباني وقف ينظر إلى تلك التظاهرات ويشعر بالرغبة الجامحة بإطلاق النار. كان يقول للعالم إن براغماتيات الملا أخوند زادة لن تدوم طويلا. إنها صلح حديبية آخر مع الكفار.

وعندما يكون التحدي داخليا بهذا المقدار، من النساء خاصة، فإن القسوة القسوى هي الجواب الوحيد الذي تملكه طالبان. وهي الجواب الوحيد الذي يتوافق مع ثقافتها.

يخادع العالم نفسه بانتظار خطوات طالبان. فما أن انحرقت المشاغل عن الأسس المبدئية للقبول بأي حكومة، حتى أصبحت المخادعات البراغمية هي البديل "العلمي" الوحيد للعلاقة مع كائنات لم تحل مشاكلها مع نفسها. لهذا الشيء نفسه يتكرر مع إيران. فهذه دولة لم تترك شيئا في ميثاق الأمم المتحدة إلا وانتهكتته. بينما دول البراغميات والمصالح الانتهازية تبحث عن سبيل لعقد مساومات معها. أفغانستان يمكن أن تعود لتكون مصنعا لإنتاج منظمات إرهاب، بينما إيران مصنعة قائم منذ اثنين وأربعين عاما لإنتاج ذات النوع من الميليشيات الإرهاب. الفرق الوحيد بينهما هو أن مصنعا أفغانستان عالمي الاهتمامات، يضرب في نيويورك، بينما مصنع إيران إقليمي يضرب في سوريا والعراق ولبنان.

احترام القيم الإنسانية وقواعد العلاقات بين الدول التي سطرها ميثاق الأمم المتحدة، كان يُعطي طرد إيران من هذه المنظمة الدولية وليس التفاوض معها. وهو يُعطي القول لطالبان: حلوا مشكلتكم مع هذا الميثاق. قبل أن تطلبوا منا أي اعتراف.

الإنساني، فهذه مشكلتك أنت. عليك أنت أن تتكفل بحلها، بأن تنتج الثقافة أو الثاويلات الملائمة للقبول بقيم التعايش.

أفغانستان يمكن أن تعود لتكون مصنعا لإنتاج منظمات إرهاب بينما إيران مصنع قائم منذ اثنين وأربعين عاما، والفرق الوحيد بينهما هو أن مصنعا أفغانستان عالمي الاهتمامات بينما مصنع إيران إقليمي.

مشكلة طالبان الحقيقية هي مع نفسها. يفترض بالعالم كله أن يقول لها ذلك، بصوت جلي، وعلى أساس اعتبارات إنسانية لا ليس فيها، ولا تأخذ بالاعتبار أي مصالح ثانوية. ويفترض أن توضع البراغميات كلها جانبا. لقد كفل ذلك الميثاق قواعد سلوك على الدول مع بعضها البعض، كما فرض عليها قيما إنسانية مشتركة لضمان العدالة والمساواة والحريات. نعلم جميعا أن هناك حكومات لا تحترم هذه القيم ولا كل القواعد. وهذا جزء من أسباب الصراعات الدولية المتواصلة. إلا أن وضعها كاذب ينشأ الآن في أفغانستان يُعطي وضع تلك القيم والقواعد على طاولة التفاوض. لا شيء أكثر منها.

دولنا تواجه السؤال: نعتز أم لا نعتز بحكومة طالبان؟ ننتظر ما تأخذ من خطوات، أم نكتفي بالوعود؟ نضع شروطا مسبقة، أم نشجع على الأخذ بها تدريجيا؟ نقدم بمبادرات للتعاون، أم نكتفي بتقديم الوعود؟ ومكانت دولنا في غنى عن البحث عن جواب لو أنها طلبت من طالبان أن تحل مشكلتها مع نفسها أولا. أو على

استأنفت تطرفها. ثم هناك طبعها، بعض الأطماع المتعلقة بالاستثمارات الممكنة في أعمال التنقيب واستخراج المعادن. كما أن هناك الرغبة الأشد بأن لا تقع أفغانستان في حضن الصين.

كل تجارب التاريخ أثبتت أنك ما أن تضع الاعتبارات البراغمية فوق الاعتبارات المبدئية، حتى تنتهي بامساة، لا تكسب منها هذا ولا ذاك. هذا الأمر يصح على طالبان التي تحاصر العالم بين اعتدالها وتطرفها، كما يصح على الولايات المتحدة وحلفائها، الذين فشلوا في أن يقيموا نظاما قادرا على أن يبني ثقافة أخرى، كما فشلوا في أن يرسوا استثمارات أصلا.

الانسحاب على فشل، يفترض أن يعني اعترافا به كفشل. نقطة رأس السطر. أما التعويل على بناء مصالح والفوز بضمانات، لما بعد الفشل، فهو محاولة للهروب إلى الأمام. هناك قواعد وشروط لقبول أي حكومة لتكون جزءا من المجتمع الدولي، هذه القواعد سطرها ميثاق الأمم المتحدة بوضوح تام. وليس المطلوب من أي دولة في العالم إلا القبول بها واقتفاء أثرها. أو انتظار العزلة والعقوبات. لا تحتاج الولايات المتحدة، ولا أي دولة أخرى في العالم تحار اليوم في ما إذا كان يمكن الاعتراف بحكومة طالبان أو قبول التعاون معها، إلا أن تضع أمامها المعايير والقواعد التي اشتراطها ذلك الميثاق. لا دين في ذلك، ولا أيديولوجيات ولا مصالح ولا براغماتيات. إنه ميثاق للتعايش الإنساني فحسب، كان هو نفسه ثمرة مرارات وحروب مروعة. إذا كان دينك يبدو كمشكلة حيال القبول بمعايير وقيم التعايش

تم إعلان العزم على التغيير فقط عندما دخلت طالبان كابول ووجدت نفسها أمام الحاجة إلى إقامة حكومة، ثم وجدت نفسها أمام الحاجة إلى تمويلات تدعم هذه الحكومة.

بمعنى آخر: مزاعم التغيير ليست سوى محاولة براغماتية للتغلب على المصاعب الآتية، ومن أجل البحث عن مداخل لجعل الحكومة الجديدة قادرة على العيش.

اعتبارات براغماتية صغيرة أخرى، من قبيل كفاءة ترحيل كل من بقي راغبا بالرحيل، هي التي تدفع إلى الامتناع عن قطع الكلمة تجاه حكومة طالبان. فالولايات المتحدة وحلفاؤها يريدون ألا يصبح هؤلاء رهائن لدى الحركة إذا ما

طالبان تقول إنها تغيرت، وإنها تريد أن تقيم علاقات تعاون مع كل دول العالم بما فيها الولايات المتحدة، إلا أن المخاوف ما تزال قائمة من أن التغيير المزعوم ما يزال يفقر إلى الأدلة. وجوه هذه المخاوف هو أن يعود التطرف ليوفر مناخا لأعمال إرهاب جديدة تكرر جريمة الحادي عشر من سبتمبر 2001، أو حتى أسوأ منها.

القاعدة وداعش يضيفان إلى المخاوف ما يعززها. فهذان التنظيمان ما يزالان يمتلكان أرضية راسخة في أفغانستان. ويعود "الفضل" في هذه الأرضية إلى الثقافة الطالبانية نفسها. هذه الثقافة لم تقل إنها تغيرت على امتداد السنوات العشرين الماضية.

علي الصراف
كاتب عراقي

الانشغال العالمي بالاعتراف بحكومة طالبان وانتظار خطواتها هو جزء من الحصار الذي تفرضه هذه الحركة على العالم. صارت أفعال طالبان هي شغلنا الشاغل. جائحة كورونا عادت إلى المرتبة الثانية من الاهتمامات، كما احتلت مظاهر التغيير المناخي التي ما تزال تضرب اطرافا شتى من العالم مرتبة أدنى. والسبب هو أن دولا كبرى تبحث الأسس التي يمكن بموجبها الاعتراف بحكومة طالبان.

